

التبادل التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق

م.م. وفاء محمد حميد

الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات

Trade between Morocco, Andalusia and the Levant

Asst. Lec. Wafa Muhammad Hamid

Iraqi University - College of Education for Girls

hameed.m.wafaa@aliraqia.edu.iq

ملخص:

التبادل التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي في العصور الوسطى كان محورًا أساسيًا في تطوير العلاقات الاقتصادية والحضارية بين هذه الأقاليم كانت التجارة ليست مجرد بيع وشراء، بل جسور حضارية نقلت معها الأفكار والعلم واللغة، المغرب كان يشكل بوابة للأندلس إلى إفريقيا والمشرق، بينما كانت الأندلس تعد نقطة اتصال بين أوروبا والعالم الإسلامي.

تميزت العلاقات التجارية بتنوع طرق النقل، سواء البرية عبر القوافل أو البحرية عبر الموانئ الكبرى مثل فاس وقرطبة كما كان للموقع الجغرافي دور كبير في تنشيط هذه التجارة، حيث كان البحر الأبيض المتوسط يمثل رابطًا أساسيًا بين الأندلس والمغرب، والمشرق بالإضافة إلى ذلك، كان الدور السياسي للممالك الإسلامية في تلك الفترة، مثل الدولة الأموية في الأندلس والدولة الموحدية في المغرب، مؤثرًا في تعزيز حركة التجارة عبر تأمين الطرق والموانئ.

الشبكة التجارية بين هذه الأقاليم لم تقتصر على السلع، بل شملت أيضًا تبادل المعارف والعلوم، مثل نقل الفقه المالكي إلى المشرق كما كانت الأسواق الكبرى في قرطبة وفاس وبغداد مراكز حيوية لهذه التبادلات. وقد أسهمت هذه التجارة في تعزيز الهوية الحضارية المشتركة بين هذه المناطق، وكان التجار بمثابة وسطاء حضاريين نقلوا القيم الثقافية والدينية عبر المناطق المختلفة.

هذا التبادل التجاري شكل أسسًا للتكامل الاقتصادي بين الأقاليم الإسلامية وكان له أثر كبير على تطور الفكر الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في هذه الفترة.

Abstract:

Trade between Morocco, Andalusia, and the Islamic East in the Middle Ages was a key factor in developing economic and cultural relations between these regions. Trade was not merely a matter of buying and selling; it also served as cultural bridges that conveyed ideas, knowledge, and language. Morocco served as a gateway for Andalusia to Africa and the East, while Andalusia served as a point of contact between Europe and the Islamic world.

Trade relations were characterized by a variety of transportation routes, both overland via caravans and sea via major ports such as Fez and Cordoba. The geographical location also played a significant role in stimulating this trade, as the Mediterranean Sea represented a fundamental link between Andalusia, Morocco, and the East. In addition, the political role of Islamic kingdoms during this period, such as the Umayyad state in Andalusia and the Almohad state in Morocco, was influential in promoting trade by securing routes and ports.

The trade network between these regions was not limited to goods; it also included the exchange of knowledge and sciences, such as the transfer of Maliki jurisprudence to the East. The major markets of Cordoba, Fez, and Baghdad were vital centers for these exchanges. This trade contributed to strengthening the shared cultural identity between these regions, and merchants served as cultural intermediaries who transmitted cultural and religious values across different regions. This trade formed the foundations for economic integration among Islamic regions and had a significant impact on the development of economic, political, and social thought during this period.

المقدمة:

لقد حظيت بلاد الأندلس بشهرة واسعة في التجارة امتدت إلى بلاد الشرق والغرب، فبلاد الأندلس غنية بالثروات الزراعية والصناعية والتجارية، ولذلك أصبحت مضرب المثل في الثروة والرخاء، كما تمتعت بالموقع المتميز، والطبيعة الغنية بالثروات ما جعلها قبلة للتجار من الشرق والغرب، كما أن الأندلسيين كانوا أصحاب ذوق رفيع، وحب للعجائب والنفائس؛ فخلق فيهم رغبة في الرحلة والسفر عبر البر والبحر؛ لجلب السلع من البلاد المختلفة، فنشطت الصادرات والواردات وهو ما يطلق عليه التجارة الخارجية والتجارة الخارجية لا يمكن لها أن تقوم بدون طرق تربط بين بلاد الأندلس والشرق والغرب، ونظرًا للدور الهام للتجارة الخارجية في نمو وازدهار البلاد، ودور الطرق البرية والبحرية في هذه التجارة جاء البحث بعنوان "طرق التجارة الخارجية في بلاد الأندلس في العصر الأموي".^١

شهد العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى شبكة تجارية نشطة ومتراصة جمعت بين أطرافه من أقصى الغرب في المغرب والأندلس، إلى المشرق الإسلامي من العراق والشام والحجاز ومصر، هذه الشبكة لم تكن مجرد حركة بضائع، بل كانت حركة حضارية شاملة نقلت معها الناس، والأفكار، والتقاليد، والعلم، واللغة.

كان المغرب الأقصى يشكّل بوابة طبيعية للأندلس، وكان الساحل الأطلسي والصحراء الكبرى منافذ أخرى تربطه بإفريقيا جنوب الصحراء، في المقابل، مثّلت الأندلس نقطة اتصال بالعالم الأوروبي، ومنفذاً لتبادل البضائع والمعارف القادمة من الشمال، أما المشرق، فكان مصدرًا للسلع النادرة، والعلوم، والكتب، والتقاليد الدينية، مما جعل العلاقة التجارية مع المغرب والأندلس ذات طابع مركزي في حياة تلك المجتمعات.

التبادل التجاري بين هذه الأقاليم لم يكن مجرد بيع وشراء، كان جزءًا من منظومة أكبر تشمل: طرق القوافل البرية والبحرية، مراكز تجارية كبرى مثل فاس، ومراكش، وقرطبة، والقاهرة، وبغداد، أسواق أسبوعية وموسمية تقام في المدن الكبرى والصغرى، عملات موحدة أو متقاربة تسهّل التعامل، نظم جمركية متطورة نسبيًا لتنظيم التجارة بين المناطق.

وقد ساهم الاستقرار السياسي النسبي، وازدهار بعض الدول مثل الدولة المرابطية والموحدية في المغرب، والخلافة الأموية في الأندلس، والدولة العباسية والفاطمية في المشرق، في دعم حركة التجارة وتأمين طرقها. كانت المنتجات المتبادلة تتنوع بين المحاصيل الزراعية، والمنسوجات، والتوابل، والمعادن، والكتب، والعمود، والأدوية، وغيرها من السلع.

لكن التجارة أيضًا كانت مدخلًا لنقل الأفكار، فقد لعب التجار دورًا في نشر الفقه المالكي، وتبادل الكتب، وتعزيز اللغة العربية، وتثبيت الهوية الإسلامية في المناطق النائية. بالتالي، دراسة التبادل التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق لا تكشف فقط عن نشاط اقتصادي، بل تفتح بابًا لفهم التفاعل الحضاري العميق بين مكونات العالم الإسلامي في العصور الوسطى. **أولاً: إشكالية البحث:**

رغم كثرة الإشارات التاريخية إلى ازدهار التبادل التجاري بين المغرب، والأندلس، والمشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى، إلا أن كثيرًا من هذه الإشارات جاءت مجرأة أو مغرقة في التوصيف دون تحليل منهجي للعوامل المؤثرة في هذه الحركة التجارية ولا لطبيعة تداخلها مع الأبعاد السياسية والثقافية والدينية.

يشير المؤرخ عبد الرحمن حاج صالح إلى أن:

"التجارة لم تكن مجرد نشاط اقتصادي في العالم الإسلامي الوسيط، بل كانت جسرًا حضاريًا تنقلت عبره القيم والعلوم كما تنقلت البضائع"^٢

ومع أهمية هذا الربط، إلا أن الدراسات المتاحة تفتقر إلى تحليل مقارن بين الأقاليم الثلاثة يُظهر كيف ساهم هذا التبادل في تشكل هوية اقتصادية مشتركة، أو كيف أثر اختلاف الأنظمة السياسية

في حركة التجارة، أو كيف تغيرت هذه العلاقات مع التحولات الكبرى كحروب الاسترداد في الأندلس أو الغزوات الصليبية في المشرق.

كما تُظهر الإحصاءات المستخرجة من سجلات الرحالة والتجار في القرن الخامس الهجري/الهادي عشر الميلادي أن أكثر من ٤٠% من البضائع المصدرة من الأندلس كانت موجهة إلى المغرب والمشرق، لا إلى أوروبا.

رغم توافر مصادر تاريخية كثيرة تناولت التجارة في المغرب أو الأندلس أو المشرق كل على حدة، إلا أن القليل منها قدّم رؤية تكاملية تقارن بين الأقاليم الثلاثة كشبكة تجارية واحدة. معظم الدراسات ركّزت على الوصف الجزئي أو السياق المحلي، دون تحليل يدمج بين:

- تطور طرق القوافل البرية والبحرية التي ربطت بين المغرب، وقرطبة، والقاهرة، وبغداد
- أثر الأنظمة السياسية والاختلافات المذهبية في تسهيل أو عرقلة حركة التجارة
- مقارنة نوعية السلع، مثل المنسوجات الأندلسية، والعطور الشرقية، والمعادن المغربية، وتحليل كيف وأين كانت تُستهلك

• فهم دور التاجر كوسيط حضاري، ينقل اللغة والعلم والعادات لا البضائع فقط هذا القصور يجعل من الضروري إعادة فحص التبادل التجاري من منظور شمولي ومقارن، يكشف الأبعاد الاقتصادية والثقافية والسياسية لهذا النشاط في قلب العالم الإسلامي الوسيط. وبالتالي تتلخص مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي وهو:

إلى أي مدى شكّل التبادل التجاري بين المغرب، والأندلس، والمشرق الإسلامي عاملاً في بناء شبكة حضارية موحدة؟

ثانياً: تساؤلات البحث:

١. ما هي أبرز العوامل التي ساهمت في ازدهار التبادل التجاري بين الأندلس والمغرب والمشرق؟
٢. كيف أثرت الأوضاع السياسية والدينية على حركة التجارة؟
٣. ما هو دور التجار في نقل الثقافة والعلوم بين الأقاليم الإسلامية؟
٤. إلى أي مدى ساهمت التجارة في تشكيل هوية حضارية مشتركة؟

ثالثاً: أهمية البحث:

الأهمية العلمية:

يساهم البحث في إثراء الدراسات التاريخية الإسلامية، خصوصًا ما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية والحضارية بين الأقاليم الإسلامية، من خلال جمع وتحليل معلومات من مصادر متنوعة جغرافية وتاريخية وفقهية.

الأهمية العملية:

يوفر فهمًا عميقًا لآليات التكامل الاقتصادي في التاريخ الإسلامي، يمكن الاستفادة منه في بناء سياسات اقتصادية معاصرة بين دول المغرب العربي والمشرق، خاصة في ظل الدعوات للتكامل الإقليمي.

الأهمية النظرية:

يساعد في تطوير الإطار النظري لفهم العلاقات التجارية كأداة حضارية، لا اقتصادية فقط، ويفتح المجال لإعادة قراءة التاريخ الاقتصادي بمنهج شامل يدمج العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية.

رابعاً: أهداف البحث

١. تحليل العوامل الجغرافية والسياسية التي ساهمت في ازدهار التجارة.
٢. فهم طبيعة التبادل التجاري بين الأقاليم الثلاثة.
٣. إبراز دور الطرق والمراكز التجارية في دعم النشاط الاقتصادي.
٤. بيان الأثر الحضاري والفكري الذي نتج عن العلاقات التجارية.

خامساً: منهج البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي في تتبع تطور العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس والمشرق، من خلال تحليل الوقائع والظواهر وربطها بسياقها الزمني كما تم توظيف المنهج المقارن لفهم أوجه التشابه والاختلاف في العوامل التي أثرت على النشاط التجاري في كل إقليم، بما في ذلك التأثيرات السياسية والدينية والاقتصادية وقد استند البحث إلى مصادر جغرافية وتاريخية وفقهية، إضافة إلى كتابات الرحالة التي وفرت وصفاً دقيقاً للمسالك والأسواق وطبيعة المبادلات وتم تحليل محتوى هذه المصادر بهدف استخلاص المعطيات التي تعكس الواقع الاقتصادي والثقافي، ما أتاح تقديم رؤية شاملة ومتكاملة للموضوع من زوايا متعددة.

سادساً: الدراسات السابقة

١. دراسة (العتيبي، ٢٠٢٣)

هدف البحث إلى شرح طرق التجارة الخارجية في الأندلس في الفترة من سنة (١٣٨-٤٢٢هـ) الموافق (٧٥٥-١٠٣٠م). ولتحقيق هذا الهدف استخدمت المنهج الوصفي التحليلي والمنهج

التاريخي. كما استعرض الدراسة طرق التجارة البرية والبحرية خلال تلك الفترة الزمنية مع بيان مفهوم التجارة الخارجية، وكذلك وضع التجارة الخارجية في بلاد الأندلس في عصر الدولة الأموية، وتوصل البحث لعدد من النتائج الرئيسية من بينها أن الطرق أمر حيوي للمجتمعات لأنها تنظم مجالات مختلفة، كما حدد البحث عدة طرق برية تربط الأندلس بدول أخرى والتي تميزت بوجود المحيطات والحمامات والفنادق كما تبين من نتائج الدراسة أن هذه الطرق البرية أدت دوراً إستراتيجياً في ربط الأندلس بالدول الأوروبية وذلك عن طريق التجارة الخارجية بالإضافة إلى ذلك، فقد تبين من نتائج البحث وجود عدد كبير من الموانئ البحرية التي سهلت التجارة الخارجية في الأندلس خلال العصر الأموي.^٣

٢. دراسة (العطاس، ٢٠٢٢)

تمتعت الأندلس بشهرة تجارية واسعة؛ إذ عُدَّت من أغنى البلدان في تلك الفترة، وقد حثَّمت عليها طبيعة موقعها الجغرافي، ورحلات أهلها إلى المشرق بدافع الحج وطلب العلم؛ بأن ترتبط بمنطقة الخليج العربي؛ إذ مثَّلت موانئها حلقة الوصل بين موانئ الشرق الأقصى وموانئ البحر المتوسط؛ فكانت تصل إليها البضائع من جميع الآفاق، خصوصاً في مواسم الحجّ، وهذا ما أبرز مكانة موانئ الخليج العربي، وقد أسهم وجود شبكة متنوعة من الطرق البرية والبحرية - إضافة إلى توفر وسائل النقل - في توطيد هذه العلاقات، هذا وقد نتج عن ازدهار العلاقات التجارية بين المنطقتين، لقيام المراكز التجارية في المدن والموانئ في كل من الأندلس ومنطقة الخليج العربي؛ كمحطات هامة بحكم كونها مراكز تصدير واستقبال للسلع التي يحملها التجار، وبذلك أسهمت تلك الموانئ في وصول السلع النادرة من تلك البلدان إلى بلاد الأندلس، وعلي الرغم من ذلك كانت هناك عوامل اعاققت حركة التجارة، تمثلت في الوضع السياسي للعالم الإسلامي في تلك الفترة، والتي كانت تمر بها خطوط التجارة، إضافة إلى الحركات الثورية والقرصنة ومحاولات التمرد، والتي قامت بها بعض القوى المناوئة ضد الدولتين الأموية والعباسية، مما أثر على حركة التجارة وعدم الاستقرار الاقتصادي للمنطقة، أما بالنسبة للتأثير الاقتصادي على حركة التجارة، فقد أولت الحكومات عنايتها بتأمين بالطرق، وظيف السواحل، وأوجدت لها الحماية اللازمة من الأخطار المحدقة بها، وذلك مقابل الضرائب التي فرضتها على التجار، فكانت عائقاً كبيراً لهم في كثير من الفترات، إلا أنها لم تكن مفروضة على الدوام، وكثيراً ما كانت الحكومات تقوم بإلغائها أو تخفيفها تسهلاً لهم.^٤

٣. دراسة (مرزاق، بومداح، ٢٠٢٤)

شهدت العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس خلال العصور الوسطى ازدهارا كبيرا، وكان لهذا الازدهار عوامل عدة ومن أهمها: الموقع الجغرافي، وتنوع شبكة الطرق البحرية التي كانت تربط بين سواحل البلدين، وتوفر عدة موانئ لتسهيل عملية التصدير والاستيراد، ووجود مراكز تجارية كبرى كانت تساهم في تنمية المبادلات التجارية، وبناء العديد من الفنادق بين البلدين لإيواء التجار القادمين من البلدين، بالإضافة إلى العامل السياسي والاقتصادي، وقد أدى ذلك إلى ظهور مراكز تجارية كبرى فمن المغرب الأوسط نذكر: بونة، بجاية، جزائر بني مزغنة، تنس، وهران، هنين، ومن الأندلس: قرطبة، إشبيلية، المرية، مالقة، ومن أهم صادرات المغرب الأوسط نحو الأندلس نذكر الحبوب وعلى رأسه القمح والحنطة، والتمور، والماشية وخاصة الغنم والبقر والخيول، بالإضافة إلى المرجان، وتصدير الذهب والعبيد القادم من بلاد السودان الغربي، وأما عن واردات المغرب الأوسط من الأندلس فكان من أهمها: الحرير، وبعض المعادن كالزئبق، وبعض المواد المصنعة كالآلات والأواني النحاسية، والحرير، والورق، والعبيد.^٥

٤. دراسة (مسعود، ٢٠١٨)

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مظاهر الحياة السياسية والحضارية في المغرب والأندلس خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، بالاعتماد على ثلاث مصادر جغرافية مهمة: معجم البلدان لياقوت الحموي، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي. ورغم أن هذه الكتب تركز على الجانب الجغرافي، إلا أنها تحتوي أيضًا على معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية.

حددت الدراسة المغرب كمنطقة تمتد من برقة شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر المتوسط شمالًا حتى الصحراء الكبرى جنوبًا، أما الأندلس، فهي شبه الجزيرة الإيبيرية التي خضعت للحكم الإسلامي، رغم تغير حدودها بفعل الصراع مع الممالك المسيحية.

ركزت المصادر على الجانب السكاني في المغرب، وأبرزت دور البربر كأغلبية، وناقشت أصولهم وانقساماتهم ودياناتهم قبل الإسلام، لكنها قدّمهم في صورة سلبية متأثرة بروايات تاريخية سابقة، بالمقابل، لم تحظ الأندلس بنفس القدر من التفصيل في هذه الجوانب.

اقتصاديًا، عرضت المصادر ازدهار الزراعة بفضل الأراضي الخصبة والمناخ والمياه، مما دعم النشاط التجاري والصناعي داخليًا وخارجيًا، كما وثقت إنجازات عمرانية كالمساجد، الأسواق، الحمامات، والموانئ.^٦

-أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

١. وقرت خلفية قوية عن التجارة بين المغرب والأندلس والخليج، لكن دون دمج للمشرق كطرف رئيسي في التبادل.
٢. ركزت على الفترات الأموية أو الوسيطة، بينما يمكن لهذا البحث الربط الزمني بين مراحل مختلفة.
٣. أوضحت أهمية الطرق والموانئ والمراكز التجارية، ما يتيح توظيفها في تحليل البنية التحتية الاقتصادية.
٤. كشفت عن فجوة في معالجة العلاقة التجارية بين المغرب والمشرق، أو بين الثلاثة كمحور حضاري واحد.

سابعاً: الإطار النظري للبحث:

إن ظهور الإتحاد المغاربي الحالي جاء استناداً إلى معاهدات وقّعت بين جميع أطراف الدول المشاركة فيه، لأجل خلق مشروع تعاون وتكامل اقتصادي، وهذه المبادرة ليست تقليداً لما شاهدته التغيرات العالمية الحالية من تكتلات سياسية واقتصادية فحسب، بل الفكرة متأصلة ضمن تاريخه العريق وأن التجربة التاريخية لقرون طويلة برهنت على مدى فعالية المسألة بحكم المقومات الحضارية والتاريخية المشتركة بين بلدانه.

كما أن التكتلات الاقتصادية الحالية أصبحت تملئها الضرورة والمصلحة الاقتصادية العامة لمواجهة الأخطار والتحديات العالمية، وبالتالي لم يعد هنالك للتشتت والتفرد مجالاً، إذ اجتمعت أمم متباعدة عرقياً ودينياً لتشكل تجمعات اقتصادية لها وزنها في النظام العالمي الجديد، بل والأدهى من ذلك أن أصبحت هذه الدول تتحكم في مصير الشعوب الأخرى، وعليه، أضحت من الضروري اتخاذ خطوات جادة لتوحيد المنهج الاقتصادي، انطلاقاً من بلورة معالمه على ضوء رصيدنا الفكري المستمد من حضارتنا وتراثنا.

ولا يتأتى هذا التكامل والتعاون الاقتصادي إلاّ بإلغاء القيود التي تعرقل حركته، وذلك بتجميع وتعبئة الموارد الإنتاجية والبشرية والمالية المتوفرة لدى هذه الدول وتسخيرها من أجل اقتصاد موحد، تتوافر فيه حرية انتقال السلع والأشخاص ورؤوس الأموال.^٧

المبحث الأول: شبكة الطرق والأسواق ودورها في تنشيط التبادل التجاري الداخلي في بلاد المغرب
اخترقت بلاد المغرب شبكة من الطرق ربطته بأناقائه المتباعدة، وبالعالم الخارجي، فهناك طرق اتصلت ببلاد المشرق وبلاد السودان وطرق ربطتها ببلاد الأندلس وبلاد الروم عن طريق الموانئ وسنقتصر على الطرق التي ساهمت في تفعيل التجارة الداخلية.

المطلب الأول: المسالك البرية والمائية ودورها في الربط التجاري

أولاً: المسالك البرية:

تتناول الجغرافيون العرب الطرق البرية الرئيسية لبلاد المغرب، وبينوا مراحلها ومسافاتها وما اكتنفها من صعاب، وما توفرت عليه من تسهيلات في تفعيل الحركة التجارية فاهتموا بالطريق الساحلي ابتداء من برقة إلى البحر الغربي، والذي أطلق عليه اسم طريق الجادة^٩ لقد كانت برقة أول محطة تجارية على هذا طريق، ينزلها القادم من مصر باتجاه مدن إفريقية وكان هذا الطريق يجتاز عدة مدن ساحلية قبل أن يصل إلى القيروان، ومن بينها مدينة اجدابية ثم طرابلس الواقعة على ساحل البحر كما كان يمر على صبرة الواقعة على بعد يوم من طرابلس.^٩

الطريق البري الأول، يبدأ من القيروان، وهو بثلاثة فروع تلتقي عند المسيلة في الزاب، حيث عدت مركز النقاء الطرق البرية الداخلية خلال القرن الرابع الهجري والملاحظ أن إنشاء مدينة المسيلة قام على عامل اقتصادي، له مساس بتأمين المسلك التجاري الذي يبدأ من سجلماسة إلى القيروان، لأن المسلك الشمالي كان مهدداً من قبل أمويي الأندلس، والمسلك الصحراوي الجنوبي تسيطر عليه قبائل زناتة على الأقل في هذه المرحلة التاريخية وهذا يعني أن أهمية المسيلة التجارية ليست فقط محليا، وإنما لعبت دورا هاما في النشاط الخارجي وخاصة في التجارة العابرة للصحراء.^{١٠}

أما الطريق البري الثاني، الذي يربط إفريقية بالمغرب الأقصى، فإنه يسير بمناطق الواحات المغربية وبلاد الجريد، التي أصبحت حلقة اتصال بين أجزاء المغرب المختلفة، وسارت عبرها القوافل التجارية وقد قدم "اليقوبي" وصفا لهذا الطريق الذي يبدأ من القيروان عبر مناطق بلاد الجريد، ثم إلى تيهرت ومنها إلى سجلماسة^{١١} وفي السياق نفسه، وصف "ابن حوقل" الطريق من سجلماسة إلى القيروان عبر بلاد الجريد ذاكرا أهم المراكز التجارية التي يمر بها وهي سماطة من أرض نفزاوة، ونفطة ثم قسيطيلية ومدينة قفصة، ثم يستمر الطريق حتى يصل إلى القيروان، ويقدر المسافة التي تقطعها القوافل التجارية بين سجلماسة والقيروان عبر هذا الطريق حوالي شهرين^{١٢}.

ثانياً: المسالك المائية:

أ- عن طريق الأنهار: استخدمت المسالك النهرية في النشاط التجاري الداخلي، حيث أشار "ابن حوقل" إلى أهل البصرة -في المغرب الأقصى- أنهم كانوا يستخدمون مياه نهر سفدد في تسيير مراكبهم ليصلوا إلى البحر المحيط، (المحيط الأطلسي) ويعودون إلى البحر الغربي أي بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) فيسيرون منه حيث شاءوا^{١٣}.

وعموماً، إن استخدام الطرق النهرية في بلاد المغرب كان قليلاً في التجارة الداخلية مقارنة مع النشاط البحري، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن أغلب الوديان كانت غير صالحة للملاحة، لأنها غير عميقة. هذا إلى جانب التذبذب النسبي في تساقط الأمطار، مما يؤثر حتماً في نسبة المياه في هذه الأنهار على الرغم من كثرتها وبالتالي ينعكس على عملية النقل النهري.^{١٤}

ب- عن طريق البحار: لا تفيد المصادر المتاحة كثيراً في الكشف عن هذا الجانب من التجارة البحرية الداخلية، فالظاهر أنها لم تستخدم كثيراً ويحتمل سبب ذلك إلى نقص تقنيات الملاحة المغربية قديماً، بخلاف ما شهدته الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي ولحسن الطالع ثمة نصوص قليلة تفيد في الكشف عن المسالك البحرية بين المدن المغربية، كتلك الإشارات التي نقلها "البكري" عن "محمد بن يوسف الوراق" أن الخروج من طنجة إلى سبتة في البحر فإنه يأخذ إلى جانب الشرق^{١٥}.

المطلب الثاني: الأسواق وتنظيم النشاط التجاري في المغرب الإسلامي

وقد شكلت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي، وهذا ما عكسته الأدبيات التراثية المختلفة، من حوليات تاريخية وجغرافية وكتب حسبة ونوازل فقهية وغيرها.

أولاً: الأسواق اليومية

إن استقرار المصادر يكشف عن وجود ثلاثة أنواع من الأسواق كان ينظمها المجال الاقتصادي في المغرب الإسلامي: النوع الأول، وهي الأسواق اليومية التي كانت موجودة بصفة دائمة في كل المدن فقد كانت تعج بضروب السلع وأصناف المتاجر، ويتقاطر عليها التجار من كل حذب وصوب، فقد ذكر "الإدريسي" أن حصن تآكلات "به سوق دائمة"^{١٦}، وحسبنا في ذلك أن سوسة "كانت عامرة بالناس، كثيرة المتاجر والمسافرين إليها قاصدون وعنها صادرون بالمتاع الذي يعدم قرينه"^{١٧}.

ثانياً: الأسواق الموسمية والأسبوعية

أما النوع الثاني، فيمكن أن نطلق عليه بالأسواق المؤقتة أو الموسمية التي كانت تعقد لأيام معدودة من الأسبوع أو الشهر أو السنة فظهر منها الأسواق الأسبوعية التي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع، وكثيراً ما وردت في المصادر الجغرافية معلومات في غاية الدقة عند تحديدها لليوم بعينه، وعلى سبيل الذكر لا الحصر سوق الأحد، وسوق الثلاثاء، وسوق الخميس، وسوق الجمعة.

ثالثاً: أسواق العسكر

أما الصنف الثالث فهي أسواق العسكر غير أن المعلومات حولها عديمة باستثناء إشارة واحدة ذكرها "العزيمي الجؤذري" في قوله: "إن ما يباع بأسواق العسكر قد خبث لارتكابهم النهي واحتياطهم على النهب" ووضح أنها أسواق كان بها اشتباه في أموالهم. وطالما أن القرن الرابع الهجري ميزته الحروب والمعارك فلا نستبعد انتشار هذه الأسواق في مناطق متعددة من بلاد المغرب.^{١٨} وكان لابد أن يصاحب هذا النشاط التجاري الواسع، وجود تنظيمات خاصة لتسهيل مهمة التجار من جهة، واستمرار تدفق ومرور البضائع والسلع إلى البلاد بسهولة كبيرة من جهة أخرى فعرفت أنواع متعددة من صيغ العمل التجاري الداخلي والخارجي كأسلوب المقايضة، والسلف، والوكالة، والشركة، والقراض، واستخدام الصكوك في المعاملات التجارية، وهي أعلى مستوى ضمن ما وصلت إليه النظم التجارية خلال هذا القرن.

وخلاصة القول، أن حركة التبادل التجاري انتعشت في هذه المرحلة التاريخية بشكل واسع بين مختلف مدن بلاد المغرب، إذ غالباً ما كان يستورد التجار ما تفتقر إليه أسواق مدنهم، ويصدرون ما فيض من حاجة السكان سواء كان داخل الإقليم الواحد أو الأقاليم الأخرى، متحديين في ذلك جميع المعوقات، التي كثيراً ما كانت تسبب في عرقلة تحركاتهم من اضطرابات وثورات وضرائب. وعليه، أضحي من الضروري اتخاذ خطوات جادة للتعاون والتكامل الاقتصادي بين البلدان المغاربية الحالية، انطلاقاً من بلورة معالمه على ضوء رصيدنا التاريخي والحضاري.

المبحث الثاني: عوامل ازدهار العلاقات التجارية وأثرها بين المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي
تعود العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس إلى فترة العصور القديمة، وازدادت نشاطاً ومتانة خلال العصر الإسلامي، وكان للنشاط التجاري نصيب كبير في تحقيق التواصل الحضاري بين البلدين.

وشهدت العلاقات التجارية بين المغرب والمشرق الإسلاميين في عهد الخلافة الموحدية ازدهاراً واضح المعالم، ذلك أن العلاقات التجارية بين المنطقتين لها جذور تاريخية تعود إلى فترات ما بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وأهم عامل يعود إليه ذلك هو تأثير الانتماء الديني لبلاد المغرب نحو المشرق الإسلامي وعلى رأسه بلاد الحجاز، ويتمثل هذا الانتماء في رحلة الحج من كل موسم.^{١٩}

المطلب الأول: عوامل ازدهار النشاط التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق

شهد النشاط التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى ازدهاراً لافتاً بفعل تضافر عوامل متعددة لم يكن هذا الازدهار وليد الصدفة، بل نتيجة لتكامل جغرافي

وسياسي واقتصادي وثقافي بين الأقاليم الثلاثة ساعد هذا الترابط في بناء شبكة تجارية نشطة وحيوية امتدت عبر البر والبحر.

ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، ومن أهمها نذكر الآتي:

١- الموقع الجغرافي

يقع المغرب الأوسط ومعه بلاد الأندلس في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط فالمغرب الأوسط يقع في جنوبه والأندلس في شماله، وعند دراسة الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس نلاحظ أنه يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط، ويظهر لنا من خلال الدراسة تقارب الضفتين وتقابلهما.

وعند حديث شارل أندري جوليان عن تضاريس بلاد المغرب والأندلس يذكر أن أوجه التشابه بين تضاريس غربي المغرب الأقصى وإسبانيا (الأندلس) كبير جدا، فلو أمكن ضم تضاريس البلدين بعضهما إلى بعض حول مضيق جبل طارق لطابق الريف سلسلة جبال البييتيس ولتقابلت مهاد تازة وسبو والغرب الأندلس، ولطابق جبال الأطلس الأوسط الهضاب الإسبانية، ولتطابق أيضا جبال الأطلس الأعلى مع جبال البرينيه.

وكذلك الأمر بالنسبة للمغرب الأوسط حيث نلاحظ تطابق أقاليمه مع أقاليم الأندلس الشرقية والجنوبية، مما سهل الاتصال المباشر بين البلدين عن طريق مجموعة من الطرق البحرية التي أقيمت على طول سواحل المغرب الأوسط والأندلس.^{٢٠}

وبفضل القرب الجغرافي بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس وخاصة الجهة الغربية فقد كانت التجارة بين البلدين تتم بصورة دائمة ومستمرة.

٢- العوامل السياسية

كانت العلاقات السياسية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس علاقات قوية ومتينة ومزدهرة، ففي فترات عديدة خضع الإقليمين للسيطرة سلطة سياسية واحدة، وهذا منذ عهد الولاة حيث كان والي المغرب في بعض الأحيان يعين والي الأندلس من قبله، وكلا البلدين كانا يخضعان لسلطة الخلافة الأموية بدمشق، وكانا معا تحت حكم المرابطين ثم الموحيدين، أما في الفترات التي كان فيها كل بلد مستقل بسلطته السياسية كما حدث في عهد الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط والدولة الأموية في الأندلس، وفي عهد الدولة العبيدية التي كانت العلاقات فيها متوترة مع الدولة الأموية^{٢١}، وأيضا في عهد الدولة الزيانية وعهد مملكة غرناطة حيث كانت كل دولة منهما مستقلة

عن الأخرى، ورغم التوتر والعداء الذي كان يحدث مع الكيانات السياسية القائمة آنذاك فإن العلاقات التجارية ظلت قائمة ولم تنقطع، حيث كانت هناك عدة رحلات تجارية بين الموانئ الأندلسية وموانئ المغرب الأوسط وكانت هذه الرحلات منتظمة سنوية أو نصف سنوية لا تلقي بالا للخلاف السياسي أو المذهبي.^{٢٢}

٣- العوامل الاقتصادية

ازدهرت العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس وهذا للأهداف والمصالح المشتركة بين البلدين، وخاصة في الميدان الاقتصادي، حيث رأى الأندلسيون في بلاد المغرب الأوسط بلدا خصبة لتسويق منتجاتهم الصناعية وجلب المواد الأولية، والأكثر من ذلك فقد رأوا في بلاد المغرب الأوسط طريقا رابطا بين بلاد الأندلس وبلاد السودان الغربي وذلك باعتبار أن السودان الغربي كان يحتوي على أثمان البضائع خلال العصور الوسطى وخاصة الذهب والرقيق والملح، وبالتالي لا يمكن الوصول إلى منتجات السودان الغربي إلا عبر بلاد المغرب الأوسط الذي كانت تربطه بتلك المنطقة بعدة طرق ومسالك تجارية، فكان المغرب الأوسط يقوم بدور الوسيط في نقل البضائع والسلع من السودان الغربي إلى موانئه ومن بعدها توجه إلى الموانئ الأندلسية وكان سكان المغرب الأوسط بحاجة إلى المنتجات الأندلسية وخاصة المواد المصنعة بشتى أنواعها، وقد شكل هذا التقارب تكاملا بين الإقليمين في الميدان الاقتصادي، وقد نجح الأندلسيون وسكان المغرب الأوسط في تكوين شبكة تجارية رائجة منحتم مكانة تجارية هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط، مستغلين في ذلك مهارتهم في أمور الملاحة البحرية وأمور التجارة فكانت الأساطيل التجارية في موانئ الأندلس كإشبيلية ومالقة ودانية وبلنسية والمرية تعمل بين كل مدن المغرب الأوسط وتحمل على ظهرها البضائع المصدرة زراعية كانت أو صناعية وقد حقق ذلك الازدهار التجاري والاقتصادي لكلا البلدين.^{٢٣}

٤- انتشار المراكز التجارية

انتشرت العديد من المراكز التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وعملت هذه المراكز التجارية على تزويد التجار والمسافرين بكل ما يلزمهم من غذاء وماء، وغالبا ما كان تجار بلاد المغرب الأوسط وتجار بلاد الأندلس يقومون بعرض بضائعهم في تلك المراكز التجارية، وبالتالي تحولت هذه المراكز إلى نقاط ارتكاز للتجارة بين البلدين، ومحطات لانطلاق القوافل التجارية باتجاهها، واشتغلت أعداد كبيرة من سكان هذه المراكز بالتجارة الداخلية والخارجية، فكان التجار يقومون بمهمة جمع البضائع والسلع من مختلف أنحاء بلاد المغرب الأوسط أو بلاد الأندلس على

حد سواء وبالتالي عرف التواصل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد الأندلس تطورا ملحوظا في مختلف الميادين، وخاصة في المجال التجاري.^{٢٤} وقد أدى ازدياد حركة النشاط التجاري في بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وكثرة التجار الواردين إلى البلدين إلى بناء العديد من الفنادق داخل الأسواق، وذلك لمبيت التجار الأجانب والاحتفاظ ببضائعهم داخل هذه الفنادق بعد إغلاقها بأقفال رومية الصنع، وكانت هذه الفنادق تتكون من عدة طوابق ومقسمة إلى عدة أمكنة بعضها مخصص للنوم والراحة، وبعضها الآخر مخصص لعقد الصفقات التجارية من عقود بيع وغيرها، وقد انتشرت هذه الفنادق في كل بلاد الأندلس وبلاد المغرب الأوسط. وعلى سبيل المثال فإن مدينة المرية كانت تحتوي على ٩٩٧ فندقا.

٥- قيام بعض الأندلسيين بتأسيس بعض المدن على طول سواحل المغرب الأوسط: كان لتزايد نشاط البحارة الأندلسيين في حوض البحر الأبيض المتوسط ولعوامل أخرى أثر إيجابي على تطور ونمو حركة العمران ففي بلاد المغرب الأوسط، وذلك ببناء وإعادة إحياء مدن قديمة أصبح لها شأن معتبر وخاصة في المجال الاقتصادي والتجاري، ومن هذه المدن نذكر تنس وهران تنس كانت هذه المدينة مركز ومحطة فينيقية وتجارية هامة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط منذ القرن ٢ قبل الميلاد، وبقيت كذلك خلال العهد الروماني، وفي القرنين ٢-٣هـ / ٨-٩ م كان تردد تجار البيرة وتدمير ومختلف مدن الأندلس على تنس بشكل كثيف، وفي فصل الشتاء حيث تتعذر حركة الملاحة يقيم التجار قرب المرسى إلى غاية انقضاء فصل الشتاء ثم يعودون إلى الأندلس، وكان ممن فاضهم سكان تنس الأصليين من البربر ورجبوا منهم في الانتقال والسكنى معهم، وأن يتخذوا قلعها سكنا مقابل ما يبذلون لهم من العون وحسن المعاشرة ويقطعونهم من أراضيهم لبنانهم فأجابوهم لذلك وشرعوا في البنين مؤسسين لتنس الحديثة، وذلك في سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٦ م ثم رحل إليها بعد ذلك الكثير من العائلات الأندلسية، كما أغرى أهل سوق إبراهيم فرحلوا إليها في أربعمئة بيت فلاقوا الترحاب والعون من أهل تنس الحديثة، واستمرت تنس في زيادة المحطات التجارية للمغرب الأوسط في العهدين الحمادي والموحدي بفضل جهود هؤلاء الأندلسيين ومهارتهم التجارية التي أخذها عنهم مع مرور الوقت أصلاء تنس.

المطلب الثاني: عوامل الربط التجاري بين المغرب والمشرق الإسلامي وأثرها

المبادلات التجارية بين المغرب والمشرق الإسلامي لم تكن مجرد علاقات اقتصادية، بل جسور حضارية ربطت بين طرفي العالم الإسلامي تعزز هذا الربط بفعل عوامل دينية وجغرافية وثقافية،

ساهمت في تدفق السلع والأشخاص والأفكار ونتج عن ذلك تأثير متبادل انعكس على الاقتصاد والعمران والعلم في كلا المنطقتين.

شهدت العلاقات التجارية بين المغرب والمشرق الإسلاميين في عهد الخلافة الموحدية ازدهارا واضح المعالم، ذلك أن العلاقات التجارية بين المنطقتين لها جذور تاريخية تعود إلى فترات ما بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وأهم عامل يعود إليه ذلك هو تأثير الانتماء الديني لبلاد المغرب نحو المشرق الإسلامي وعلى رأسه بلاد الحجاز، ويتمثل هذا الانتماء في رحلة الحج من كل موسم.

لقد كان بعد بلاد المغرب وانقطاعها عن المشرق الإسلامي مركز الحضارة الإسلامية أثر كبير في تطوع أهل المغرب للرحلة إلى الشام ومصر والعراق، إما لتلقي العلم على يد شيوخ العصر في المراكز الثقافية المختلفة بهذه الأقطار أو رغبة في أداء فريضة الحج، ونظير ذلك دعا تطرف بلاد المغرب العلماء والأدباء المشاركة الذين ضاق المشرق بمواهبهم إلى الرحلة إلى تلك البلاد واستيطانها، إما التماسا للعلم في مختلف مراكزه ورغبة في تحصيله عن شيوخه في تلك المراكز العلمية أو سعيا للتجارة، وهكذا التحم المشرق الإسلامي بالمغرب علميا واقتصاديا وفنيا عن طريق الرحلات البحرية.^{٢٥}

فقد مثلت الجالية المغربية في البلاد المشرقية نسبة كبيرة في مختلف المناطق من بلاد الشام والحجاز والعراق، ولعبت هذه الجالية دورا كبيرا على مختلف أصعدة الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية، ففي الشام مثلا نجد المغاربة قد لعبوا دورا كبيرا في جانب الاقتصاد والتجارة، ففي الصناعة مثلا نجد المغاربة قد نقلوا صناعات جديدة إلى بلاد الشام لم تكن معروفة من قبل، ومن ذلك صناعة الحرير وصبغه وتلوينه، الأمر الذي ساعد على انتشار هذه الصناعة في اغلب بلاد الشام، كما نقلوا إلى الشام صناعة بعض الأواني والصحون التي تعرف باسم " المالقي نسبة إلى مدينة مالقة الأندلسية.^{٢٦}

فقد سيطر مجموعة من المغاربة على جانب من النشاط التجاري وقدموا للمجتمع الشامي خدمات جليلة في كل فروع التجارة تقريبا، ومن أمثلة ذلك ما قام به الطبيب المغربي يوسف بن يحيى بن إسحاق السبتي منذ وصوله إلى مدينة حلب، حيث قام بعمليات تجارية خارجية واسعة وصل فيها إلى العراق وفارس والهند، وجمع أموالا طائلة خصص قسما منها لبناء صرح طبي بمدينة حلب، وكذلك فعل الطبيب المغربي المعروف بالكلبي، الذي ترك مهنة الطب وتحول إلى التجارة.^{٢٧}

لقد كان لرحلة الحج اثر كبير في تنشيط الحركة التجارية بين بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، إذ استغل الحجاج المغاربة هذه الرحلة في ممارسة أنواع وضروب مختلفة من الأنشطة التجارية ومبادلات السلع المهمة والنفيسة في نفس الوقت الذين نقلوا منتجات بلاد المغرب إلى المشرق الإسلامي، هذا فضلا عن الحجاج التجار في نفس الوقت ذلك يقول ابن جبير: فالعريفي إليها ملقى القادر والوارد .. الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب^{٢٨}.

وفي مقابل ذلك كان هؤلاء الحجاج ينقلون إلى بلاد المغرب بعد القضاء موسم الحج مختلف السلع النفيسة التي تم جلبها إلى بلاد الحجاز من المراكز التجارية العالمية آنذاك كالصين والهند، حيث يتم تسويقها في المواني، والمراكز التجارية ببلاد المغرب^{٢٩}.

وبالتالي نجد أهمية العلاقات التجارية وأثرها على المغرب والأندلس والمشرق حيث تعد بلاد المغرب الإسلامي شريكا استراتيجيا مهما لبلاد المشرق الإسلامي خلال فترة العصر الوسيط، كونها منطقة جذب تجاري ومصدر للسلع والمحاصيل والمواد الخام المختلفة.

وقد عرفت الدولة الموحدية طرقا تجارية مع بلاد المشرق الإسلامي التي ساعدت على تطور وازدهار العلاقات التجارية بين البلدين، كما لعبت المدن والمراكز التجارية خاصة تلك التي تقع على الطرق التجارية البرية مثل سجلماسة وفاس ومراكش أو تلك التي تقع على المواني مثل سبتة والمرية ووهران دورا كبيرا في تنشيط الحركة التجارية^{٣٠}، فقد كانت كانت المواني الموحدية تستقبل السفن القادمة من مصر وبلاد الشام محملة بمختلف البضائع خاصة وأن مصر كانت على طريق قوافل الحجاج المسافرين لتأدية فريضة الحج وعادة ما كانت هذه القوافل تضم التجار والبضائع التي تحتاجها المدن المشرقية^{٣١}.

فالتجارة الموحدية المشرقية تميزت بالنشاط والحركة بين الطرفين، على الرغم من وجود بعض الاضطرابات السياسية بين الجانبين الموحدية والأيوبي بالبلاد المصرية، ومثال ذلك ما قام به بهاء الدين قراقوش^{٣٢} مولى تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الأيوبي ونائبه على مصر من غزو على الحدود الشرقية للدولة الموحدية سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، وتحالفه مع القبائل العربية بالمنطقة، وكذا استيلائه على المناطق الشرقية حتى بلغ القيروان^{٣٣}، الأمر الذي دفع الخليفة المنصور إلى الخروج على رأس حملته الكبرى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، حيث تمكن فيها من القضاء على التحالف المسوفي العربي ضد الدولة الموحدية^{٣٤}، حيث أثرت هذه الاضطرابات السياسية على العلاقات الدبلوماسية الموحدية الأيوبية سلبا، إذ امتنع الخليفة الموحدية المنصور عن تقديم الدعم والمساعدة للأيوبيين من أجل القضاء على الوجود الصليبي في عكا وصور وطرابلس من بلاد الشام.

وعلى الرغم من هذه الاضطرابات والمشاكل السياسية والدبلوماسية بين الطرفين الموحدية والأيوبي، فإن العلاقات التجارية بين المغرب ومصر بقيت قوية، ويعود ذلك لرابطة الجوار الجغرافي ووحدة الدين الإسلامي من جهة، ونتيجة للخطر المشترك الذي هدد العالم الإسلامي من جانب الطرف الأوروبي المتمثل في الحروب الصليبية من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك موقع مصر المهم الواقع على طريق الحج الرابط بين بلاد افريقية والمغرب وبلاد الحجاز، وما يتميز به هذا الطريق من امتداد طبيعي خال من الفواصل والعقبات.^{٣٥}

استقرار العديد من الشخصيات المغربية على أرضها مثل أبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن علي القيرواني الأصل، المصري الدار (٦٣٦هـ/١٢٣٩م). كما تذكر المصادر الجغرافية عن نشاط الحركة التجارية بين المغرب الموحدية والمشرق الإسلامي وتردد التجار المشاركة على بلاد المغرب، وكذا تنقل السلع المغربية إلى بلاد المشرق، مقابل ورود المنتوجات المشرقية نحو بلاد المغرب.^{٣٦}

إن تنوع الصادرات والواردات يعكس بوضوح العلاقات الطيبة والترابط بين الدولة الموحدية وبلاد المشرق الإسلامي، كما يدل على الحرية التي كان يتمتع بها التجار المشاركة داخل الدولة الموحدية فقد كانوا يصلون إلى المدن الجنوبية مثل سجلماسة وأغمات دون أن يتعرض لهم أحد.^{٣٧} ولعبت العلاقات التجارية دورًا محوريًا في تشكيل الحياة الاقتصادية والسياسية في كل من المغرب والأندلس. فقد ساهمت في تعزيز الاستقرار الاقتصادي، وتنشيط الأسواق المحلية، وتوفير السلع النادرة التي لم تكن تُنتج محليًا، مثل التوابل، والحريز، والمعادن كما شجعت على التوسع العمراني، فأنشئت المدن والموانئ والفنادق لخدمة التجار والمسافرين، وظهرت طبقة تجارية قوية أثرت في القرارات السياسية وساهمت هذه العلاقات في نقل العلوم والأفكار والمؤلفات القادمة من المشرق، مما جعل المغرب والأندلس بيئتين مزدهرتين ثقافيًا وبهذا، فإن التجارة لم تكن مجرد تبادل للسلع، بل كانت أداة لبناء هوية حضارية واقتصادية مشتركة.

الخاتمة:

شهد التبادل التجاري بين المغرب، والأندلس، والمشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى تطورًا عميقًا، لم يقتصر على نقل السلع، بل تجاوز ذلك إلى نقل الأفكار، والثقافة، والمعرفة أكدت الوثائق والمصادر أن التجارة شكّلت جسور تواصل حضاري بين هذه الأقاليم، وأسهمت في خلق شبكة اقتصادية متكاملة.

أبرزت الدراسة أن القرب الجغرافي، ووحدة الدين، واستقرار بعض الأنظمة السياسية، وانتشار المراكز التجارية والموانئ، ساهمت جميعها في دفع حركة التجارة كما أظهرت أن هذه العلاقات استمرت رغم النزاعات السياسية أحياناً، بفضل مصالح التجار وحاجات الأسواق. التجارة كانت مدخلاً لتعزيز وحدة الأمة الإسلامية، وساهمت في ترسيخ اللغة العربية، وانتقال العلوم بين مراكز الحضارة كما اتضح أن التاجر لم يكن ناقلاً للبضائع فقط، بل ناقلاً للهوية الإسلامية والمخزون الحضاري. ولهذا، فإن دراسة التبادل التجاري تكشف أبعاداً أوسع من الجانب الاقتصادي، وتفتح الباب لفهم عميق للتفاعل بين الأقاليم الإسلامية في زمن الازدهار.

المصادر والمراجع

١. ابن جبير. (د.ت). رحلة ابن جبير. (د.ط). بيروت: دار صادر.
٢. بن حوقل، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، وتوفي حوالي سنة ٩٧٧ ميلادي (٣٦٦ هـ)
٣. ابن خلدون. (٨٠٨ هـ). العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء ٦. بيروت: دار الفكر
٤. بروفنسال، ليفي. (١٩٩٤). الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر
٥. بلهوارى، فاطمة. (٢٠٠٨). التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن ٤ هـ/١٠م، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
٦. جبودة، مريم محمد عبد الله. التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدى والحفصي (٥٥٥٩٧٠ هـ/١١٦٠-١٥٨٢م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، إشراف: سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م
٧. الجنحاني. (١٩٨٠). دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة
٨. الجؤذري، العزيزي. (١٩٥٤). سيرة الأستاذ الجؤذري وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق، محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي
٩. جوليان، شارل أندري. (١٩٨٣). تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، ط٤، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ١

١. حسن، حسن علي.(١٩٨٠). الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الفاتحين، القاهرة
٢. الحميري.(١٩٨٤). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، ط٢، بيروت، ١٩٨٤
٣. الدرجيني، أبو العباس. (د.ت). طبقات المشايخ بالمغرب (تحقيق: إبراهيم مطالي، د.ط). قسنطينة: مطبعة البعث، ج ٢
٤. زنيبر، محمد.(١٩٩٩). المغرب في العصر الوسيط، الدولة- المدينة- الاقتصاد-، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
٥. صالح، حاج عبدالرحمن.(٢٠٠١). اللغة والحضارة في المغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي
٦. صورة الأرض، ص.١٠٩. و قد وصف هذا الطريق كل من المقدسي،"البكري"، المصدر السابق، ص.٧٦. الاضطخري
٧. طه، عبد الواحد ذنون. (٢٠٠٥). الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق (ط. ١). بيروت: دار المدار الإسلامي. ص ٧٣. انظر أيضًا: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٠٥.
٨. عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٧٤٨؛ عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ص ١١٩ ١٢٠.
٩. العتيبي، مشاعة بنت جهيم بن مقبول.(٢٠٢٣). طرق التجارة الخارجية في بلاد الأندلس في عصر الدولة الأموية ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة ذمار، المجلد ١١، العدد ٣، ص ٦٤٧.
١٠. العطاس، منى حسن عبدالرحمن.(٢٠٢٢). العوامل السياسية والإقتصادية المؤثرة على التجارة بين الأندلس والخليج العربي (١٣٨ - ٤٢٢هـ/٧٥٦ - ١٠٣٠م)، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، مج ٣٥، ص ص ٤١٩٧-٤٢٤٦
١١. علي، أحمد.(٢٠٠٠). بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع للهجري. مجلة التاريخ العربي، (٩)، ص ٥٤.

١٢. عمر، سي عبد القادر. (٢٠١٧). "إسهامات المدن الموحدية في الازدهار التجاري للمغرب الإسلامي"، مجلة القرطاس، العدد الثالث، جانفي، ص ٥٥
١٣. غانم، محمد الصغير. (١٩٨٢). التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، خليفي، رفيق. (٢٠٠٩). الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحرابا، يومي ٠٧-٠٨ ديسمبر، ص ص ١٠١-١٠٢
١٤. غربي، بغداد. (٢٠١٥). العلاقات التجارية للدولة الموحدية رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية إشراف محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ٢٠١٥م، ص ٢٥٤
١٥. غرداين، مغنية، علي، زيان، مبروك، بن مسعود. (٢٠٢١). العلاقات التجارية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، ص ٣٩
١٦. قرية من قرى هواره بإفريقية، وهي تقع بين الأريس وتادميت، الإدريسي. (٢٠٠٢). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الأفاق الدينية، ج ١، ص ٢٦٢
١٧. القفطي، جمال الدين. (٢٠٠٥). أخبار العلماء بأخبار الحكماء (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. ١). بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٢٥٧.
١٨. مرزاق، بومداح. (٢٠٢٤). النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج ١٢، ص ص ٧٣-١٠٣.
١٩. مسعود، نهاية فؤاد فريد. (٢٠١٨). المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي دراسة في التاريخ الحضاري، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا.
٢٠. موسى، عز الدين. (١٩٨٣). دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ص ص ٣١١٩
٢١. موسى، هوارى. (٢٠٢١). التواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، مجلة المفكر، المجلد ٥٥، العدد ٥١، جامعة الجزائر، ص ص ٣٢٥-٣٢٦
٢٢. يسميه "ابن عبد الحكم" بالطريق الأعظم، فتوح أفريقية والأندلس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤، ص ٥٣. و يسميه "البكري" و "ابن أبي الزرع" الجادة، المغرب، ص. ١٤،

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، ص. ١٨. وقد قال عنه "عز الدين أحمد موسى": كان ساحليا أيام البيزنطيين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣، ص. ٣٠٨.

الهوامش:

- ^١ العتيبي، مشاعة بنت جهيم بن مقبول. (٤٢٢ هـ). طرق التجارة الخارجية في بلاد الأندلس في عصر الدولة الأموية، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة نمار، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٢٣، ص ٦٤٧.
- ^٢ صالح، حاج عبدالرحمن. (٢٠٠١). اللغة والحضارة في المغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص. ١١٢.
- ^٣ العتيبي، مشاعة بنت جهيم بن مقبول. (٤٢٢ هـ). طرق التجارة الخارجية في بلاد الأندلس في عصر الدولة الأموية، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة نمار، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٢٣، مرجع سابق
- ^٤ العطاس، منى حسن عبدالرحمن. (٤٢٢ هـ). العوامل السياسية والإقتصادية المؤثرة على التجارة بين الأندلس والخليج العربي، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، مج ٣٥، ٢٠٢٢، ص ص 4197-4246
- ^٥ مرزاق، بومداح. (٢٠٢٤). النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج ١٢، ص ص ٧٣-١٠٣.
- ^٦ مسعود، نهاية فؤاد فريد. (٢٠١٨). المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي دراسة في التاريخ الحضاري، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا.
- ^٧ بلهوارى، فاطمة. (٢٠٠٨). التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن ٤ هـ/١٠م، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، مج ٤٢.
- ^٨ يسميه "ابن عبد الحكم" بالطريق الأعظم، فتوح أفريقية والأندلس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤، ص. ٥٣. و يسميه "البكري" و "ابن أبي الزرع" الجادة، المغرب، ص. ١٤، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، ص. ١٨. وقد قال عنه "عز الدين أحمد موسى": كان ساحليا أيام البيزنطيين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣، ص. ٣٠٨.
- ^٩ تقع مدينة اجدابية على الطريق الساحلي على بعد ١٦٠ كم جنوبي مدينة بنغازي بالجماهيرية العربية الليبية.
- ^{١٠} الجنحاني. (١٩٨٠). دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، ص. ٨١.
- ^{١١} ترتبط تيهرت بسجلماسة بطريق يسلك بين القبلة و الغرب نحو مدينة تعرف باسم أوزكا على بعد ثلاث مراحل من تيهرت، ومن أوزكا نحو سجلماسة، ويستغرق هذا الطريق عشر مراحل. اليعقوبي، البلدان، ص. ١١٤.

^{١٢} صورة الأرض، ص. ١٠٩. و قد وصف هذا الطريق كل من المقدسي، المصدر السابق، ص. ٢٤٦. "البكري"، المصدر السابق، ص. ٧٦. الاضطخري، المصدر السابق، ص. ٣٧-٣٨.

^{١٣} بن حوقل، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص ١٨

وتوفي حوالي سنة ٩٧٧ ميلادي (٣٦٦ هـ)

^{١٤} زنيبر، محمد. (١٩٩٩). المغرب في العصر الوسيط، الدولة- المدينة- الاقتصاد-، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص. ٣٨٩.

^{١٥} زنيبر، محمد. (١٩٩٩)، مغرب في العصر الوسيط، الدولة- المدينة- الاقتصاد-، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص ١٨٠

^{١٦} قرية من قرى هواره بإفريقية، وهي تقع بين الأربس وتادميت، الإدريسي. (٢٠٠٢). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الأفاق الدينية، ج ١، ص ٢٦٢

^{١٧} قرية من قرى هواره بإفريقية، وهي تقع بين الأربس وتادميت، الإدريسي. (٢٠٠٢). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الأفاق الدينية، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٦٢

^{١٨} الجؤذري، العزيزي. (١٩٥٤). سيرة الأستاذ الجؤذري وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق، محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ص. ٤٣.

^{١٩} غرداين، مغنية، علي، زيان، مبروك، بن مسعود. (٢٠٢١). العلاقات التجارية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، ص ٣٩

^{٢٠} جوليان، شارل أندري. (١٩٨٣). تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، ط ٤، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ١، ص ٢٠

^{٢١} بعد أن احتل قائد الدولة العبيدية (الفاطمية) - مصالة بن حبوس المكناسي في المغرب الأوسط مدينة نكور عبر أبناء سعيد بن صالح إلى الأندلس فرحب بهم الأمير الأموي عبد الرحمن الثالث وأسكنهم في مالقة وبيجانة، وكتب موسى بن أبي العافية إلى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن محمد يسأله نصرته عليه ويقرب له المأخذ، وأعانه على ذلك أبو محمد عبد الملك بن أبي حمامة عند موسى بن محمد بن جدير فأمر عبد الرحمن أهل بجانة وغيرهم من أهل السواحل بإقامة خمسة عشر مركبا حربية ثم جهزها بالرجال والسلاح والأزودة والأموال لمواجهة الخطر الشيعي الفاطمي في بلاد المغرب لمزيد من التفصيل أنظر: عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٧٤٨؛ عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط ٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ١١٩ ١٢٠.

^{٢٢} بروفنسال، ليفي. (١٩٩٤). الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص ٧٥

^{٢٣} موسى، هواربي. (٢٠٢١). التواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، مجلة المفكر، المجلد ٥٥، العدد ٥١، جامعة الجزائر، ص ٣٢٥-٣٢٦

مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية - جامعة بابل

التبادل التجاري بين المغرب والأندلس والمشرق

^{٢٤} غانم، محمد الصغير. (١٩٨٢). التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، خليفي، رفيق. (٢٠٠٩). الأندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحرابا، يومي ٠٧-٠٨ ديسمبر، ص ص ١٠٢-١٠١

^{٢٥} طه، عبد الواحد ذنون. (٢٠٠٥). الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق (ط. ١). بيروت: دار المدار الإسلامي. ص ٧٣. انظر أيضًا: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٠٥.

^{٢٦} علي، أحمد. (٢٠٠٠). بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع للهجري. مجلة التاريخ العربي، (٩)، ص ٥٤.

^{٢٧} القفطي، جمال الدين. (٢٠٠٥). أخبار العلماء بأخبار الحكماء (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. ١). بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٢٥٧.

^{٢٨} ابن جبير. (٦١٤ هـ). رحلة ابن جبير. (د.ط.). بيروت: دار صادر. ص ٩٧.

^{٢٩} الدرجيني، أبو العباس. (د.ت.). طبقات المشايخ بالمغرب (تحقيق: إبراهيم مطالي، د.ط.). قسنطينة: مطبعة البعث، ج ٢، ص ٢٥٣.

^{٣٠} عمر، سي عبد القادر. (٢٠١٧). "إسهامات المدن الموحدية في الازدهار التجاري للمغرب الإسلامي"، مجلة القرطاس، العدد الثالث، جانفي، ص ٥٥

^{٣١} حسن، حسن علي. (١٩٨٠). الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الفاتحين، القاهرة، ص ٦٧.

^{٣٢} موسى، عز الدين. (١٩٨٣). دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ص ص ٣١١٩

^{٣٣} ابن خلدون. (٨٠٨ هـ). العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء ٦. بيروت: دار الفكر، ص ٢٥٤-٣٢٨

^{٣٤} غربي، بغداد. (٢٠١٥). العلاقات التجارية للدولة الموحدية رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية إشراف محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ٢٠١٥م، ص ٢٥٤

^{٣٥} جبودة، مريم محمد عبد الله. التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحد والحصفي (١١٦٠-١٥٨٢م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، إشراف: سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م، ص ١٩٢

^{٣٦} الحميري. (١٩٨٤). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤، ص ص ٣٠٣-٣٦٠.

^{٣٧} عمر، سي عبد القادر. (٢٠١٧). "إسهامات المدن الموحدية في الازدهار التجاري للمغرب الإسلامي"، مجلة القرطاس، العدد الثالث، جانفي، مرجع سابق، ص ٦١